

بين الامس واليوم

نشر فيما يلي نص شذرات مقيمة انتخبناها متفرقة من غصون المحاضرة النفيسة التي القاها صديقنا الفقيه العدل السيد علي بن محمد الطيب الشرفي في احدى جلسات المؤتمر وذلك بغية منا في ان يقف منها مختلف القراء على مقدار تاصل خلق الرحمة والشفقة والحنان في نفسية المسلم المغربي عموماً والفاسي خصوصاً وكيف أنه كان يتلقى عن تعاليم الاسلام وصاة الانعطاف حتى الى جنسه الحيوان. بمثل انعطافه الى اخيه الانسان، وفي ذلك على رقي اصل المدنية الاسلامية وعلى قدم نضوج العقلية المغربية دلائل ونماذج نرجو ان يحذو حذوها العاملون ويتذكر بها أولوا الالباب :

من محاسن فاس مارستانها أي ملجأها الخيري القديم فان له احباً كثيرة من الاهالي والملوك ، ويقام بمن يدخله من المرضى ومن زال عقابه بما تدعو له ضرورة الحياة مما لا بد منه للمتوسطين وكان نظاره يجعلون ادخار الاقوات عند ابائهم وكان المخزن يعينهم على ذلك سنوياً حسباً بظهير شريف وقفت عليه للسلطان سيدي محمد بن مولانا عبد الرحمن ما نصه بعد افتتاحه : (خديمنا الارضى الطالب ادريس السراج وفقك الله وسلام عليك ورحمة الله تعالى وبركاته وبعد فنأمرك أن تكلف الامناء أن يدفعوا الضعفاء المارستان ما جرت العادة بدفعه لهم من القمح والسمن والخليج على يد الناظر السيد محمد بوعنان والسلام في ٩ جمادى الاولى عام ١٢٨١).

وكان يعطى من احباس المارستان لمن خانهم الدهر من البيوتات الكبار ساكني الحومات الكسوة والخبز والنقد يومياً وشهرياً والكسوة سنوياً ، من ذلك ظهير شريف للسلطان مولانا عبد الرحمن نصه بعد الافتتاح :

ومن بين (الشيوخ الاجلة) العلامة المصلح سيدي محمد الحجوي الذي افتتح المحاضرات بمحاضرة مفيدة في تطور الاسلوب الكتابي بالمغرب وفاس ، والمؤرخ البجاعة مولاي الكبير بن زيدان فقد القى محاضرة رائعة في موضوع نظام المخزن داخل القصر السلطاني وخارجه ، وحاضر الفقيه النزيه سيدي عبدالواحد الفاسي في الخطابة والخطباء بفاس ، والفقيه الفاضل سيدي علي بن محمد الطيب الشرفي في محاسن فاس ، والاديب اللبيب سيدي محمد المهدي الحجوي في حياة ليون الافريقي (ابن الوزان الفاسي) ، والاستاذ البجاعة سيدي احمد الصبيحي في موضوع اللغة الدارجة ، والقى الشاعر المطبوع سيدي الحاج عبد الله القباح قصيدة نفيسة في المولى ادريس الازهر مؤسس فاس . وبالجملة فقد كان المؤتمر عظيم الاثر والنتائج على العلوم والاداب والابحاث القيمة ، وكان مجلس انس وتعارف واستعلام لم نأسف على شيء اسفنا على انصرام اجله وقصر مدته ، ولاجل ان نشرك معنا قراءنا الكرام في فوائد المحاضرات التي القيت فيه فاننا خصصنا لذلك ذيلاً تنشر فيه تباعاً بعض ما اتصل بنا منها يوزع على السادات المشتركين مع هذا العدد، وتشتمل الرسالة الاولى على المحاضرات المتعلقة بموضوع اللغة العربية خاصة .

السيد احمد السنوسي

توصلنا من المكتب الدائمي للمؤتمر الاسلامي ببدء عام يدعو فيه المسلمين في جميع الانحاء لان يصلوا صلاة الغائب على هذا الفقيه الكريم عقب صلاة الجمعة الاولى من شهر محرم الحرام وقد لبى المسلمون هذا النداء في بعض المدن من المغرب فجازاهم الله عن الاسلام خيراً وتعمد الراحل العظيم برحمته ورضوانه .

(ناصر ناظر المارستان في حينه ان يرتب لاولاد الشريف الفقيه الحيسوبي السيد ادريس القادري خمس عشرة اوقية عن كل شهر لضعفهم وفافتهم والسلام . في غرة شعبان المبارك عام ١٢٤٨).

وكانت امور الاحباس من قديم عند سلفنا الصالح مضبوطة وتصرفاتها بالاحكام الشرعية منوطة وكان المتقدمون من النظار يحفظون حق الايتان ويقومون بالنصيحة في وظيفهم بحسب الامكان ويختارون من اوارع كل زمان حتى ان بعضهم كان يتبرع بأجرته على الحبس . وحيث كان معظم الخير والاحسان الصدقة الجارية التي لانقطع بمرور الازمان ، بقي الوقف والحبس وهو باب خير عظيم ، وكثير الحبس من افاضل الامة كالصحابة فمن دونهم وجرى على ذلك العلماء والامراء وافراد الامة في الاقطار الاسلامية وما هو من ذلك بالمغرب الاقصى ومدينة فاس شيء كثير ودون له ائمة المذاهب كتباً وابواباً خاصة بالاحباس وما يعرض لها من القضايا والنوازل ومقصود على نظر القضاة المعقب منه .

ومن ذلك التحسيس على المنادي الذي كان ينادي في الاسواق عند نزول المؤذنين من المنار وارادة اقامة الصلاة بقوله الصلاة یرحمکم الله جهاراً تنبيهاً للغافلين .

ومن ذلك الحبس على المؤذنين العشرة اللياليين الذين يقومون بالمنارات نصف ساعة لكل واحد تأنيساً للمرضى ولعرفة تقاسيم اجزاء الليل بصوت كل مؤذن حيث لم تكن مجانات متعددة .

ومن ذلك المسمع الذي يذكر الامداح النبوية والادعية في المآذن ليلتي الجمعة والاثنين لبيان فضلها وايقاظ من سهى عنها ويسمى الداعي .

ومن ذلك ما كان من تحسيس ثلاثة ديار كل واحدة بفرشها واثاثها على من يريد اعمال ولائم العرس من المتوسطين والضعاف الذين لاجل لهم لذلك ، واحدة بعدوة الاندلسيين بحومة العيون بالوسعة بيد بعض الشرفاء الدباغيين الادريسيين بوجه التنفيذ على أنها حبس . والثانية بالدرب الذي أعلى السبع لويات أولى يسرة داخله من عدوة اللطيين في تصرف الحبس الى الآن . والثالثة بالعدوة من حومة الكدان قرب جامع الاندلس قبالة جامع جنازها عهدناها زربية في تصرف الاحباس ثم صيرها الحبس الان فندقاً وحوانيتاً وعائناً بها قبل بنائها كما ذكر بيوتنا كيبوت دور فاس وبها من ابدع صناعة النقش في الخشب والجبص ما عهد مثله في ارفع الاماكن بفاس

ومن ذلك تحسيس دارين اسكنى العميان بيدهم الى الآن واحدة بالعدوة والثانية باللمطيين وهما مشهورتان . ومن ذلك تحسيس اهالي فاس العقار الكثير على الوظائف الدينية من مدرس وواعظ وخطيب ومتعلم وامام ومؤذن وقراء الحزب وغير ذلك من خبز طلبة المدارس ونحوه وعلى تفسير ما يقرأ من تفسير وحديث وسيرة وفقه وتصوف ووعظ وغير ذلك الكثير منه على جامع القرويين وجامع الاندلس والمدارس تعيناً لما يقرأ في ذلك .

ومن ذلك التحسيس على من يقرأ من القراءات ما تيسر ويهدي ثوابه للاموات ويعرف باحباس المقابر ولعله لا يوجد اكثر منه في احباس القرويين ، وهذا فيه فائدة للاموات والاحياء فانه كان ينفذه القاضي للعلماء الذين يقومون بوصية الحبس وكان سبباً لوفود العلماء من البلدان

الصدقة بعشرة ودرهم القرض اي السلف بتمانية عشر كافي
جديث يستسلف بحميل لمن كان غير ملي وبدونه لمن كان
ملياً ولهذا المال ذكر عند شراح التحفة لدى قولها :

الحبس في الاصول جائز وفي
منوع العين بقصد السلف

وبقي الامر كذلك الى أن تلف المال والناظر عليه
ومن يعرف ذلك بسبب الاوثة المتعددة التي اخلت فاساً
مراراً ، وكذا بالفتن والحروب وهذا هو السبب في
اندثاره ، والعلة التي ذكرها الشيخ التاودي نفاها غيره
بما قررناه .

ومن ذلك التحجيس على الجذمي ، كانت حارتهم اولاً
بظهر المرس المسمى قديماً حجر ابو غازي قبالة ضريح ابي
الحسن بن حوزم الاموي وكان يخرج اليها من الباب الذي
قرب دار مولانا اذريس محل سكناه بجرواوة ومسجده
ثم انتقلوا بعد الى محلات اخرى .

ومن ذلك البلاد المعروفة « بالحاجة بارورات » ،
كانت معدة لرعي جمال حبس الركب النبوي بقصد الرعي
فيها لان الركب كان يغيب سنة كاملة فتقسم تلك الجمال
نصفين ، يذهب في كل سنة النصف ويبقى النصف بقصد
الاستراحة والرعي الى العام الذي يليه... ولما انقطع
الركب عن الذهاب هذه ازيد من مائة سنة صار الحبس
يستغلها بالكراء الى زمن السلطان مولاي عبد الحفيظ
فعوضت وصارت ملكاً ، وقيل لعلها من تحجيس المرأة ورقا
بنت يثناء الحاجة من أهل طليطلة سكنت فاساً وكانت
ادبية شاعرة صالحة كثيرة فعل الخيرات وتوفيت بعد
الاربعين وخمسةائة .

على فاس ، فانه مهما ورد عالم الا ونفذ له منه بنظر قاضي
الوقت ما يستحقه وقد ادركنا ذلك منفذاً بيد أناس .
ومن ذلك ما كان يعطى من الاحباس لشراء الحبوب
للطيور زمن المسغبة بكديتي البراطيل داخل باب الفتح
وخارج باب عجيسة ويقال ان الحبس على ذلك هي
البلادات بفتح الله اكبر الخالصة والجزء خارج باب الفتح
وهي المعينة لذلك .

ومن ذلك ايضاً ما كان يجمعه المحتسب من سوق
العرض اي محل بيع الحبوب وهو ان المشتري اذا اراد بيع
الحب توجه للسوق المذكور بنحو ملء الكفتين عرضاً اي
مشتري يعرض على المشتري حتى اذا تم التبائع ادخله
الدلال ليبت من بيوت الاحباس هناك اذ السوق المذكور
كله حبس ويأتي من ذلك العدد كل يوم انواع كثيرة حتى
اذا اجتمع من ذلك شيء وجهه المحتسب مع احد اعوانه
كل يوم للكديتين المذكورتين للطيور زمن فقدان الحبوب
من الارضين كالربيع مثلاً رحمة بهم ، والراحون يرجمهم
الرحمن .

ومن ذلك ما كان يشتريه نظار الاحباس من مواين
الفخار وتنزل عند اجير اعلا باب حفاة القرويين في احد
البيوت المقابل لجوار مدرسة العطارين وبالبيت قبالة حفاة
جامع الاندلس والباب المدرج الذي اعلاه البرج الضخم
العجيب الذي هو الغاية في حسن الاثر يعطى ذلك لمن
تكسر له ماعون من الضعاف والعجزة والصبيان يأتي
بالمكسر ويقبض عوضه رغبة في الاجر .

ومن ذلك المال الحبسي الذي كان منزلاً ببعض
حوانيت القيصرية لاجل السلف لدى الحاجة رغبة في
تكثر الحسنات حيث علم اولئك السادات ان ثواب درهم